

وشوهدت الامعاء في مكانها من البدن فاستدل ذلك على ان السائل الذي حققت به الحثة لم يرسل عن طريق الشرج بل يجور من المحنط اكتفى باحاطة الجثة بالاقشة مستعيناً ببعض المواد الواقية واستغنى ايضاً عن مدة السبعين يوماً المقررة للتحنيط عندهم. واثبت الدكتور (وليم حروس Wilham Gross) ان صاحب هذه الجثة مات مسموماً لان تقلص عضلات البدن والمعدة وتعبس الوجه وما ظهر عليه من تأثير الالم وانشاء الرأس وقبح الهيئة دل على ان الوفاة حدثت إما بالفرق او الخنق أو التسمم إذ ترى الذراعين بعيدتين عن الجسد وعلى الرحلين رباط قوي يظهر من أمره ان المحنطين حاولوا اخفاء الجريمة فشدوه شدةً قوياً

ستأتي البقية
الدكتور حسن كمال

القلاع والحصون في سورية

« ١ » قلعة قبّ الياس

تمهيد في تسمية القرية — لقد نقل اكثر المؤرخين والكتبة اسم هذه القرية التي فيها القلعة المشهورة في الايام الاخيرة مجازفةً دون تمحيص وهي عادة كتابنا ومؤرخينا الذين نرى معظمهم يعتمدون على مجرد النقل دون عرض الحقيقة على العقل والتاريخ لتصحيح الرواية وتحقيق التسمية

ولقد افردت قسماً من وقي لدرس اسماء البلدان والمدن والقرى والاماكن وما يتصل بها ولاسيما في سورية حيث نرى في التسميات آثار العبادات القديمة والاساطير الخرافية والحوادث المهمة. ففي ايام الحرب الكبرى أخذت على نفسي وضع تاريخ لسورية المجوفة (Coele - Syria) واماكنها وعباداتها وابنيها وهياكلها وحلت فيها الاسماء تحليلات توافق التاريخ والعقل ولعلي في ما وصلت اليه من هذه الابحاث على هدى. ولقد نشرت من امثلة هذا الكتاب مقالة (اقدم سكان سورية اللودانيون او الروثانيون) في هذه المجلة الشهيرة بابحاثها المفيدة والآن اقدم هذه المقالة الثانية للقراء لعلمهم يجدون فيها لذة وتنبيهاً لطروق هذه المواضيع التحليلية

لقد رأيت اسم هذه القرية (قبّ الياس) في كتب كثيرة قديمة . على ان

المؤرخ الكبير البطريرك اسطفان الدويهي يذكر في تاريخه المطبوع صفحة ٩٧
 هذه العبارة: « وفي سنة ٧٥٢ (١٣٥ هـ) سار المقدم الياس (١) الى البقاع فنهب
 تلك القرى وقتل اهلها فارسل صاحب الشام اليه رسولا ليعقد معه صلحاً . ثم
 ارسل فكبسه على حين غفلة وقتله . وبعد رجوع عسكر الشام رجعت القرية
 تسمى قبّ الياس . . . » فمعنى قوله (رجعت القرية تسمى قبّ الياس) دليل
 انها كانت بهذا الاسم قبل هذه الحادثة التي بنى عاينها المؤرخون تسميتها (قبر الياس)
 ثم (قبّ الياس) . وادا قلبت صفحة واحدة من تاريخ الدويهي اي طالعت صفحة
 ٩٨ تجد كلاماً لابن القلاحي احد مؤرخي الموارنة يدل على عدم امكان هذه التسمية
 اذ قال عن المقدم سمعان ابن اخت المقدم الياس المقتول ما نصه : « ولذلك لما
 وقعت الواقعة فرّ مع جملة من المقدمين ولم يحاموا عن اميرهم لشدة عيظهم منه بل
 رجعوا بعد قتله فدفنوا جسده في قبّ الياس وامروا ان لا يذكر احد اسمه البتة
 لرضهم انه عاش ومات مردولاً » فن هذا الكلام فسدت الرواية التي بنيت عليها
 التسمية . وذهب البعض ان القرية مدفون النبي الياس (ايليا) وهذا ابعد عن
 الحقيقة . واغرب من الروايتين ما ورد في تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية
 المارونية للخورى ميخائيل غبريل اللبناني (٣ : ٣٨٦) ما معناه : انها سميت
 (قبّ الياس) لان المقدم الياس ارتعد من الروم بخاف وهرب وكلمة (قبّ)
 السريانية بمعنى الرعدة والفرار . وانكر القول انها قبّة او قبر الياس . فانظر الى
 هذه المجازفات التاريخية والمناقضات التحليلية في الاسماء . ولقد اشار الى فساد
 هذه التسمية الاب لامنس اليسوعي ايضاً

والذي يتمثل لذهني القاصر ان هذا الاسم مركّب من كلمتين قديمتين هما
 (قبّ) (والياس) . فاذا حللنا الاولى الى انها فينيقية ونحوها بمعنى مقرّ
 ومصرية بمعنى زاوية او الى كلمة (آبل) العبرانية المحرّفة بمعنى مرج و (ايلوس)
 الى كلمة (هليوس) اليونانية بمعنى الشمس عرفنا ان اسم القرية مقرّ الشمس او
 زاوية الشمس او مرج الشمس لشيوع عبادتها في سورية الجوفّة ولوجود الهياكل
 المعظى لها في المشارف والسفوح اهمها هيكل بعلبك

ومما يؤيد هذا الرأي ان قلعة (قبّ الياس) المحولة عن هيكل شمسي قديمة

(١) من امراء المردة الذين كانوا في قصة سكتنا في سفح حار صيد

قائمة على رابية بل زاوية في سفح جبل عين دارة تُطل عليها الشمس عند ما ترسل اشعتها على البسيطة وفوق القلعة في محلة رأس العين شمال على صخرة ترتفع نحو ١٢ متراً على بعد نحو نصف ساعة من القرية على ضفة النهر الجنوبية يمثل شخصاً نحثياً برأس نسر مسترسل الرداء ورجلاه ظاهران من تحته في يده اليسرى مخصرة او صولجان واما اليد اليمنى فيشير بها الى مطلع الشمس من الشرق ورأسه رأس نسر وقربه قواعد اصنام تدل على محلات لعبادة الشمس كرس لها ذلك المحل فلا عجب اذا سميت به . ولا سيما ان نعت البقاع (بالعزيز) يدل على عبادة الشمس ومن الادلة الاخرى ان في السهل قرية (بر الياس) وهي بمعنى (ابن الشمس) و(بر) بالنبطية بمعنى (ابن) وكذلك بالعبرية او بن (بير) المصرية بمعنى بيت لان قرب قب الياس صخرة طالية فيها محل منقور بصخر يدل على ان هناك كانت مراة تعكس نور الشمس اول بزوغها الى تلك القرية فتعبد فيها الشمس والذين يشتمسون (يعبدون الشمس) كانوا يهتمون بل يتبركون بقرب اشعتها منهم بل بمسها اياهم . وكفى بهذه الادلة تأييداً لهذا الرأي

فثبت اذن ان اسم (قب الياس) و(بر الياس) هو من اسماء الشمس لشيوع عبادتها هناك . ومثلها اسم قرية انطلياس (٢) قرب بيرت فانه من كلتي (أنتي) بمعنى مقابل و(إيلْيوس) بمعنى الشمس فكأنهم كانوا يعبدون الشمس عند غيابها كما يعبدونها عند شروقها والله اعلم

قلعة قب الياس — بعد ما ثبت من الكلام السابق ان محل هذه القلعة كان هيكلاً للشمس منذ الايام القديمة نستنتج ان القلعة المشيدة على انقاضه يجب ان تكون قديمة ايضاً لاتخاذ الهياكل حصوناً كما مر ويؤيد ذلك ان موقع هذه القرية في رابية تدافع قلعتها عمّن يهاجمها من طريق صور وصيداء في البقاع الغربي ومن يغزوها من مضائق جبل الكنيسة في طريق المريجات . وكذلك من شعاب قرية عين دارة فضلاً عن انها تقابل مدخل وادي القرن الى دمشق وتحمي ذلك السهل من جيوش الفاتحين

ولقد خربت هذه القلعة مراراً ورممت ولم تقف على ذكرها في التواريخ التي

(٢) وتقول العامة ان احدهم قال لالياس (انت الياس) فهرب فقيل (قب الياس) قلعه الى (بر الياس) فكانت التسميت الثلاث وهذا من انحراف الحروف

بين ايدينا الا في القرن السابع عشر كما سيحيى على انها كانت معقلاً قديماً في الحروب التي نشبت في هذا السهل ولاسيما في ايام المصريين والسلوقيين و ايام الصليبيين والعرب والروم والمردة والتتر

واول ذكر لها سنة ١٦١٥ م وكانت في حوزة الامراء الحرافسة حكام بعلبك ولاسيما الامير بولس منهم الذي خرب الامير نحر الدين المعني داره في قرية قب الياس سنة ١٦٢٢ اقتصاصاً منه والظاهر انه هدم القلعة ايضاً لان التاريخ يذكر بعد هذا ان المعني ولّى سليمان حيمور من سكان البقاع حكومته ووكل اليه ببناء القلعة لانها كانت مخيم عساكرهم وحصنهم المنيع فتحصنت القلعة بمعدات الحصار والدفاع وعززت بالمدافع كما تذكر كتب كثيرة انها كانت تدفع الأعداء بمدافعها ولاسيما في عهد احمد باشا الجزائر حاكم عكا في اواخر القرن الثامن عشر . وسنة ١٧٨٢ حصنها الامير سيد احمد الشهابي شقيق الامير يوسف حاكم لبنان وحمل اليها المدافع واقام في القلعة وطائفي تلك الجهات واخذ الطرق على القوافل حتى ضجت البلاد من اعماله فحاصر عسكر عثمان باشا والي دمشق مع رجال الامير يوسف تلك القلعة نحو ثلاثة اشهر حتى نفذ الزاد فسلم الامير سيد احمد عن يد خاله الامير اسمعيل حاكم حاصبيا وترك القلعة فامر الامير يوسف بهدمها وتعرس على هادميها ذلك جدرانها فهدموا قليلاً منها لان الامير نحر الدين المعني كان قد بناها بناءً متيناً لتقوى على ضرب المدافع والقنابل في الحصارات. وكان عنده مهندسون وبنائون من توسكاته من البنادقة فشيّدوا حصونه على طراز منيع ولاسيما هذه القلعة التي دافع فيها عن لبنان في مدة ملكه الطويلة

والمروي على السنة الشيوخ المعمّرين انه كان على بابها اسم (الامير نحر الدين بن معن) وعلى احدى عتباتها هذه العبارة (لما صار رطل الزيت بمصريتين بطلنا العمار) . ويقال ان حجارتهما بعد ترميمها كانت من قلعة عنجر على بعد اربع ساعات في سفح الجبل الشرقي الى غربي القلعة. والذين شاهدوا بقاياها يقولون انها كانت ذات ثلاث طبقات وعرض جدارها اربعة امتار وكلها مغموسة حجارتهما بملاط فيه زيت الزيتون والماء تدور فيها كلها . وحوطها خنادق متينة . ولما كانوا يهدمونها اضطروا الى فتح نقوب فيها الغموها بالبارود حتى تمكنوا من هدمها. وكان آخر هدمها في عهد درويش باشا والي الشام في اوائل القرن التاسع عشر الماضي

وموقع هذه القلعة على تلة في اعلى القرية الى شمالها وهي ذات ثلاث طبقات كبيرة الحجم كان الداخل فيها يضل لكثرة ما فيها من المخادع والمداخل وفيها حوض كبير لحزن المياه بطول عشرة امتار وعلو ستة. ولم يبق اليوم من جدرانها الا قسم من الجدار الغربي بعلو نحو ١٥ متراً وتحت القاعة قبو ضخم قديم بطول نحو ١٥٠ متراً وعرض نحو ٧٠ متراً. والى الشرق الشمالي من القلعة على زاويتها برج يشرف على السهل وهو الآن مهدوم علوه نحو ٧٠ متراً عن الصخر الكبير تحته ونحو مائة متر عن سطح السهل. وعلى سطح ذلك الصخر بعض حجارة قديمة من اطلال القلعة التي اشتهرت في الحروب القديمة والحديثة

ولم نقف على وصف كاف لهذه القلعة في ايام عمارتها عدا ما قرأناه في (رحلة البقاع العزيز) للعلامة الشيخ عبد الغني النابلسي دمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ م) وهاك ما ذكره ننقله بالحرف عن هذه الرحلة التي تكرم باستنساخها لنا من مكتبته النفيسة صديقنا السيد العالم محمد جميل الشطي نائب الحايبة وامامهم في دمشق فنشكر له عنايته وكرمه : قال النابلسي : « وقد وجدنا في قرية قبر الياس المذكورة قلعة متينة من بناء ابن معن الذي كان امير الدروز سابقاً وله سيرة غير مشكورة . وخارج القلعة برج خراب وفيه بئر ماء مردوم بالتراب وباب القلعة تجاه ذلك البرج المهديم وهو باب من الخشب المتين لا يعمل فيه الفأس ولا القدوم وداخل الباب دهليز طويل جميعه مبني بالاحجار الكبار والقبو الذي ما اليه سبيل . وعلى ميمنة الداخل حجرة كبيرة ذات مرام متينة وفيها درج الى سطح القلعة وبئر ماء غير معينة ثم في نهاية ذلك الدهليز باب للقلعة ثانٍ وداخله دهليز صغير ينتفع فيه القاصد والعاني ثم بعد ذلك باب ثالث يدخل منه الى تلك الساحة في وسط القلعة وهي واسعة المساحة وفي وسطها بئر يجتمع فيه الماء من الامطار التي تنزل من اطلي الاسطحة وهو بئر كبير اوسع من قدر نصف الساحة له فان مفتوحان للانتفاع والمصاحبة . وفي تلك الساحة ايوان واسع كبير في كل ناحية منه حجرة ذات شباكين ما لها من نظير وفيها مطبخان كبيران مبنيان بالاحجار من الصوان . وبالقرب منهما بيتان لما يحتاج اليه من آلات الطبخ وغيرها ممدان وهناك فرن وحمام صغير وثلاث حجرات شرقية كبار ذات شباكين شرقية كلها معمه له بالقو والتحجر . والحمة الشقية مشتملة على اربعة حجرات

وعلى ميمنة الايوان باب فيه عشرون من الدرجات . وعلى ميسرة هذا الدرج
حجرة مطعمة ليس فيها شباييك غير مرماة واحدة وداخلها دهليز فيه سبعة مرام
نافذة وعلى ميسرة هذا الدهليز حجرة كبيرة فيها شبًا كان مطلقاً على ساحة القلعة
الخطيرة وايضاً حجرة مطلة على تلك الساحة المستديرة . وعلى ميمنة الدرج المذكور
ايوان كبير وفيه مرام وشباييك يتمتع بها كل بصير . وخارجة حجرة فيها شباييك
ومرام وباب يتوصل منه بدرج الى سطح القلعة السامي . وفيها ايضاً باب بعشرين
دركة يتوصل منه الى باب القلعة . وباب ايضاً بعشرين دركة في اعلاه بيت للطهارة
مع دهليز ثان به مرام انقنها الباني . وفي ميسرة ذلك الدهليز حجرة شمالية فيها
منافع شرعية وفيها ثلاثة شباييك مطلة على اماكن عليّة . ثم بعد ذلك حجرة
بشباكين مطلين على الساحة المزبورة . وايضاً حجرة شتوية صغيرة وايضاً درجان
على الميسرة يصعد منهما الى السطح كل واحد منهما خمس عشرة درجة وسبع مرام
على اسطحة الحجرات متدرجة . وفي كل حجرة من الحجرات المذكورة وجاق
مبني من الحجارة . وهناك حُجرات شمالي القلعة قد شرع في بنائها وما تمت لها
العمارة . وفي تلك الاسطحة ميازيب من الحجر الى جهة مساحة القلعة وايضاً درج
مقدار الاربعين درجة الى اسفل تلك الساحة ذات الوسعة . وفي اثناء الدرج بيت
للطهارة . ودرج آخر على يمينه ثمانى حجرات كل ذلك مصنوع من الحجارة . وبالجملة
فهي قلعة مشتملة على منافع كثيرة وامور تدعو اليها الضرورة . وقد قلنا في وصفها
وحسن ارباعها ولطفها :

وقلعة قلعت عين العدو بما علت به من بروج ذات تحصين

كأها فوق قبر الياس مشرفه على جوانبه تاج السلاطين انتهى

هذا وصف دقيق لهذه القلعة في شهر ذي القعدة سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م)

يدلُّ على ما كانت عليه من العمارة بعد المعنى الذي رممها . ولقد تناوبت على هدمها
ايدي الحكام والجيوش وساعدتها رجفات الزلازل التي رقصت لها اعطاف سورية
سنين متوالية ولا سيما زلزلة ١٧٥٩ م وما وليها من الرجفات الاخرى . فاصبحت
اليوم اطلاقاً دارسة ليس فيها الا بقية جدار وقليل من الآثار كما مرَّ فسبحان

عيسى اسكندر المعلوف

الحى الدائم

مؤلف تاريخ الاسر الشرقية

زحلة